دراسة السياق في تفسير المنار

الدكتور محمد حسين ميري (الكاتب المسؤول)
أستاذ مشارك، قسم المعارف الإسلامية، جامعة العلوم الزراعية والموارد الطبيعية خوزستان، إيران
miri@asnrukh.ac.ir
الدكتور سيد كريم خوب بين خوش نظر
أستاذ مساعد، قسم التفسير وعلوم القرآن، جامعة العلوم ومعارف القرآن الكريم، طهران، إيران
khoshnazar@quran.as.ir
الباحثة فاطمة كاكا دزفولي
طالبة في المستوى الثالث (سطح ٣)، مدرسة الزهراء العلمية، دزفول، إيران
Fatima.kaka76@gmail.com

The position of the context in the interpretation of al-Manar

Dr. Sayed Mohammad Hossein Miri (responsible writer)
Associate Professor, Department of Islamic Knowledge, University of Agricultural Sciences and Natural Resources Khuzestan, Iran
Dr. Sayed Karim khobbin khoshnazar
Assistant Professor, Department of Interpretation and Sciences of the Qur'an, University of Science and Knowledge of the Holy Qur'an, Tehran, Iran
Fateme Kaka Dezfuli
Level 3 student of Al-Zahra Dezful School, Iran

الملخص:-

يعدُّ استخدام الأسلوب الإجتهادي من السمات المهمّة لبعض التفاسير المعاصرة، ومن السمات البارزة للتفاسير الإجتهادية هو استخدام قاعدة السياق. إنّ السياق في المصطلح هو عبارة عن بنية عامة يشتمل على مجموعة من الكلمات أو الجمل أو الآيات ويؤثر على معناها. وبالطبع، أحياناً يطلق مصطلح السياق على الكلمات والجمل التي يتم استخدامها في تفسير الكلمات أو العبارات، من حيث أنها تخلق الخاصية المذكورة، إذ في هذه الحالة، سيكون السياق بمعنى قرائن لفظية مرتبطة بالكلام. إنّ تفسير المنار يعتبر من التفاسير الاجتهادية المعاصرة التي قد استخدم فيه قاعدة السياق في فهم القرآن وتفسيره بشكل كبير. إنّ مؤلّفي تفسير المنار يعتقدون أن القرآن الكريم له نظام منسّق ومن هذا المنطلق قد تطرّقوا إلى استنتاجات لا حصر لها في مجال فهم الآيات القرآنية بناءً على قاعدة السياق والسؤال الأساسي لهذا البحث هو أنّ ما هو مكانة السياق في تفسير المنار؟ ونسعي من وراء هذا للبحث أن نقوم بشرح قاعدة السياق لإفادة الجمهور وربما استخدامها في فهم المراد من الآيات القرآنية في تفسير المنار. يتبع هذا البحث المنهج الوصفي - التحليلي وباستخدام البيانات المكتبية في جمع المعلومات ومعالجتها.

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن، السياق، المنار، شيخ محمدعبده، رشيد رضا.

Abstract:-

One of the merits and commendable features of some contemporary interpretations is the use of ijtihad style and method, and one of the prominent characteristics of ijtihad interpretations is the use of the rule of context. Context in the term is a general structure that casts a shadow on a set of words, sentences, or verses and affects their meaning. Of course, sometimes the words and sentences that are interpreted around words or phrases, in the sense that they create the mentioned characteristic, are called context, in this case, the context will be the meaning of verbal clues connected to the word. Tafsir al-Manar is one of dozens of contemporary ijtihadi commentaries that has made many uses of the rule of context in understanding and interpreting the Qur'an. Acknowledging the organized system and harmony between the verses of the Qur'an, the authors of al-Manar have tended to the theory that the Qur'an is reclusive and have inferred and understood some of the verses based on the context. The main question of this research is focused on the position of context in Tafsir al-Manar and tries to point out the employment and use of cases of this rule in understanding the revelatory intentions of the Holy Quran in Tafsir al-Manar. This research is organized by descriptive, analytical method and with library data to collect information and process them.

Keywords: Tafsir of the Qur'an, Siyaq, al-Manar, Sheikh Mohammad Abdeh, Rashidreza.

بيان المسألة:

يعدُّ تفسير القرآن الكريم من العلوم الذي له مكانة خاصّة ومميّزة بين العلوم الأخرى منذ القرون الأولى للهجرة، ورغم أنه في البداية كان يعتمد في الغالب على النقل والروايات وكان يطلق عليه بأنّه تفسير منقول، ولكن مع التفاعل مع العلوم الأخرى، قد اكتسب هذا العلم أسلوباً وسياقاً عقلانياً، وتمّ توظيف إنجازات العلوم الأخرى بشكل أكبر وأفضل واستمدّوا من منهجية الاستدلالات والتصورات عن طريق بيانات الوحي. تعتبر قاعدة السياق من القواعد التي ساعدت في فهم القرآن الكريم بشكل منهجي، والتي تم استخدامها كثيراً في التفاسير المتأخرة، ويعتبر تفسير المنار من ضمن هذه التفاسير. إنّ السياق هو عبارة عن الهيكل العام الذي يحكم النص، والذي يدلّ على مجموعة من الكلمات والجمل والآيات ويؤثر على فهم النص.

إنّ مؤلفي تفسير المنار يعتقدون أنّ الوحدة الموضوعية لسور القرآن الكريم هي من أهم قواعد التفسير. وهذا يعني أنه يجب اعتبار وجهة نظر السور القرآنية حجر الأساس لفهم آيات تلك السور. كما يعتقدون أنّ القرآن الكريم مع السور المباركة يتبّع اتّجاهاً معيناً وهناك نظام خاصّ يحكم الآيات وحتّي السور القرآنية ومن جهة أخرى، فإنهم يتفقون على أنّ القرآن الكريم هو نصّ يجب استخدام المبادئ التي تساعد فهم معنى هذا النص. لذلك، فقد أولوا اهتمامًا خاصًا للسياق والقرائن المقالية والحالية. فيشير رشيد رضا في مقدّمته لتفسير المنار إلى هذه القضيّة فيقول إنّ أفضل طريقة لفهم كلمات القرآن أن تفسر الكلمة بحسب المعاني التي كانت مستعملة في عصر نزوله وإذا استعمل بمعان مختلفة كلفظ «الهداية» فيحقق كيف يتفق معناه مع جملة معني الآية فيعرف المعني المطلوب من بين معانيه. (رشيدرضا، المنار، ج ١، ص ٢٢) إنّ محمد عبده يشير بهذه العبارة «إن القرآن يفسر بعضه ببعض» والتي يمكن اعتبارها مستوحاة من كلام الإمام علي عليه السلام (نهج البلاغة، خ ١٣٣)، إلى أن أفضل دليل لفهم معاني الكلمات هو اتفاق اللفظ مع ما هو قبله وبعده، والتوافق مع الجملة التي يقع اللفظ فيها. وقد استخدم مؤلف تفسير المنار هذه القاعدة في فهم معاني الكلمات ومعاني الآيات وأيضاً لتحقيق الغرض من السور. (سيدمحمد رشيدرضا، المنار، ج ٢، ص ١٠ - ٩)، وبما أن هناك أنواعاً مختلفة من استخدامات السياق، فإن السؤال الذي يسعى هذا البحث للإجابة

عليه هو: ما هي مجالات تأثير السياق من وجهة نظر تفسير المنار؟ وبشكل اساسي ما هو مكانة السياق في تفسير المنار؟ يتبع هذا البحث المنهج الوصفي - التحليلي وباستخدام البيانات المكتبية في جمع المعلومات ومعالجتها.

١. التعريف بتفسير المنار

تفسير المنار من تأليف الشيخ محمد عبده ومحمد رشيد رضا، من علماء القرن الرابع عشر الهجري. إنّ مؤلفي تفسير المنار على مذهب الشافعي والأشعري. إنّ هذا التفسير الذي يتضمن السور القرآنية حتى جزء من سورة يوسف، هو درس التفسير للشيخ محمد عبده في مصر كان يلقيه بالحث الشديد من محمد رشيد رضا، واتخذ عبده كتاب السيوطي المعروف بـ «تفسير جلالين» كتابًا دراسياً وكان يقرأ جزءًا منه في كل جلسة و يبدي بآرائه. وكان رشيد رضا يسجل أفكار الأستاذ ويزودها بالإضافات بنفسه ومن غيره من الفسّرين الآخرين، وكان يكتفي عبده بالتصحيح النهائي والتنقيح - والذي عادة ما يكون بحذف أو إضافة بضع كلمات - وينشرها في جريدة المنار. (المنار، ج١، ص١٧؛ محمد هادي معرفت، ١٣٨٦: ج٢، ص١٠١١).

وكان عبده من شيوخ الأزهر وأحد أساتذتها الذي كان يدعو الآخرين إلى التجديد والتحرر من التقليد، واستغل عقله وتفكيره الحر في تأليفاته، ولم يتبع الأفكار المتزمتة. وكانت لديه آراء ومعتقدات تختلف عن الآراء القديمة وهذه الحرية الفكرية والثورة ضد الماضي كان لها الأثر الكبير على أسلوبه فكان يتصرف بنفس الطريقة في تفسيره. (محمدحسين الذهبي، دون تا، ج٢، ص٥٤٩ - ٥٤٨) وبعد وفاة محمد عبده، وقد استمرّ رشيدرضا بالعمل بعد وفاة أستاذه، وكان منهج رشيد رضا نفس منهج أستاذه في كتابة التفسير إلّا أنّه خالف منهجه بالتوسّع فيما يتعلّق بالآية من السنة الصحيحة، سواء كان تفسيراً لها أو في حكمها، وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الأخلاقية بين العلماء، وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة وفي بعض الإستطرادات لتحقيق مسائل تشتدّ حاجة المسلمين إلى تحقيقها (محمد رشيدرضا، ١٤٢٨، ج١، ص١٦) كما أن عبده يسلك نهجاً معتدلاً في مواجهة آراء المعارضين وقلّما يتعامل مع القضايا الدينية المثيرة للجدل، ولكن رشيد رضا يدعي من جهة أنه يتجنب الدخول في القضايا الأخلاقية (رشيدرضا، السابق، ج٥، ص١٧ - ١٦) لكنه يهاجم في كثير من الأحيان آراء خصومه

وخاصة الشيعة بشكل غير عادل. (السابق، ج ٥، ص ٥٩) ومن سمات رشيد رضا أنه قد تأثر بأفكار أشخاص مثل ابن تيمية وابن قيم والغزاليّ.

٢. مكانة السياق في تفسير المنار وحدوده

إنّ للسياق واستخدامه أنواع ومجالات مختلفة، ويتم شرح بعضها على النحو التالي: توضيح المعاني واكتشاف المفاهيم المقصودة، وشرح كلمات الآيات وتفسيرها، واستخدام المصطلحات الشائعة والمشتركة في علم المعاني والبيان، تحديد نطاق تفسير الآيات وتفسيرها بناءً على حكمها، واكتشاف التقارير التاريخية وعبارات خارج النص باستخدام قاعدة السياق والتي يتمّ توضيحها فيما يلي:

٢ـ١. الفهم الكامل للمعاني واكتشاف المفاهيم المقصودة

إنّ المفسّر يصل إلى معاني الحقيقية للآيات أحياناً بتوسيع معنى الآية، أو بتحديد النطاق الدلالي للآية وإزالة الشكوك حول معاني الآيات والجمل. وأحياناً يتم استخدام السياق لإزالة الغموض من ظاهر الجمل وفقرات الآيات، وقد يكون هذا الغموض في ظل ظروف كعدم تحديد مرجع الضمير، أو عدم تحديد المتلقّي، وحذف العبارة أو الكناية في الآية.

من خلال دراسة تفسير المنار، يتبين لنا أنّ مؤلّفي هذا التفسير قد بذلا اهتماماً تامّاً بالسياق لتحقيق المعنى الحقيقي للآيات. وقد حاول مؤلفا تفسير المنار، مع التركيز على نصّ القرآن الكريم بشكل خاص ووفقاً لهذه العقيدة أن القرآن الكريم وحده يجيب على القضايا في معظم الحالات، قد اتّخذا هذه النزعة في تفسيرهما. فنذكر في هذا المجال بعض الشواهد القرآنية؛

المثال الأوّل: في معني الآية الكريمة: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾، (البقرة (٢)، آيه١١٥)، هذه الآية متّصلة بما قبلها وهو قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (البقره(٢)، آيه١١٤)، هكذا يقوم المفسّر بشرح معني الآية حيث نرى في الآية ١١٥ قد أشير إلى شؤون العابد أنّ من شأنه أن يستقبل وجه المعبود، ولّما كان سبحانه منزّهاً عن المادّة والجهة واستقباله بهذا المعني مستحيلاً، شرع للنّاس مكاناً مخصوصاً يستقبلونه في عبادتهم إيّاه. وجعل استقبال ذلك المكان كاستقبال وجهه تعالى. (رشيدرضا، المنار، ج١، ص٣١٢)

المثال الثاني: في موضع آخر، وفي الآية الكريمة: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾، (البقره(٢)، آيه ١٤٣) يقول إنّ في هذه الآية منّة بنعمة كبيرة للنبي ﷺ والمسلمين. ولا يعتبر مؤلف تفسير المنار هذه الآية اعتراضية أو تمهيدية أو بداية لسياق جديد، بل يجعل العلاقة الكاملة مع الآية السابقة: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ثمّ يقول: ولا يعدُّ مؤلفو المنار هذه الآية احتجاجا أو تمهيدا وبداية سياق جديد. بل إنهم في شرح معانيها يعتبرون الارتباط الكامل بالآية السابقة ويذكرون ما يلي:

إنّ الله تعالى علم أنّ الفتنة بمسألة القبلة ستكون عظيمة. هناك ثلاثة آراء في هذا المجال:

الرأي الأوّل: سيقول أهل الكتاب: إنّ محمّداً ليس على بيّنة من ربّه لأنّه غيّر قبلته، وكانت بيت المقدس قبلة الأنبياء.

الرأي الثاني: قول المنافقين حيث يظهرون نفاقهم ويقولون: إنّه صلّي أوّلاً إلى بيت المقدس استمالة لأهل الكتاب ودهاناً لهم ثمّ غلب عليه حبّ وطنه وتعظيمه فعاد إلى استقبال الكعبة، فهو مضطرب في دينه.

الرأي الثالث: المطمئنّ الراسخ في الإيمان يحزن لشكوك النّاس و تشكيكهم في الدّين.

لذلك بدأ الله بإخبار المسلمين بما سيكون بعد تحويل القبلة من إثارة رياح الشبه والتشكيك ولقّنهم الحجة وبيّن لهم ما فيها من الحكمة:

فقد بيّن لهم منزلتهم من سائر الأمم وهي أنّهم أمّة وسط لا تغلو في شيء، ولا تقف عند لظواهر وأنّهم شهداء على الناس وحجّة عليهم بإعتدالهم في الأمور كلّها، وفهمهم لحقائق الدين وأسراره، ومن أهمّها أنّ القبلة الّتي يتوجّه إليها لا شأن لها في ذاتها، وإنّما العبرة فيها باجتماع أهل الملّة على جهة واحدة وصفة واحدة عند التوجّه إلى الله تعالى ولّما كانت نسبة الجهات إليه سبحانه وتعالي واحدة إذ لا تحصره ولاتحدّه جهة. (رشيدرضا، المنار، ج٢، ص١٢ - ٩).

يقول مؤلّف تفسير المنار في التعبير عن المعنى الحقيقي للآية: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ وبإثبات الصلة الصحيحة لهذه الآية بالآيات السابقة، فقد استخدم السياق ويعتقد أن هذه الآية هي في الواقع تسلية النبي ﷺ عمّا يلاقي من الإنكار، فلا تأس يا محمد على القوم الكافرين ولا تبخع نفسك على آثارها إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً. وفي النهاية، يذكر عبده أن هذا الجانب يفسر علاقة الآيات بما قبلها وهذه من خصائص القرآن الكريم التي تولي اهتماماً لقضايا فرعية مختلفة في سياق موضوع واحد. (رشيدرضا، السابق، ج١، ص١٨٧).

المثال الثالث: في تفسير آيه ﴿يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ (التوبة(٩)، آيه ٦٤)، يشير رشيدرضا إلى اختلاف المفسرين في تحديد مرجع الضمير «عليهم». فهل هو للمنافقين المذكورين، والمراد بنزوله عليهم نزوله في شأنهم، وبيان كنه حالهم أو هو للمؤمنين أي يحذر المنافقون أن ينزّل على المؤمنين آيةً تنبئهم بما في قلوبهم أي قلوب المنافقين. وأخيراً بعد دراسة النقاش بين المفسرين استنتج أن الضمير يعود للمؤمنين لأن السياق يرتبط بهم. (السابق، ج ١٠، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٦)

المثال الرابع. في تفسير الآية: ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقره (٢)، آيه ٢٤٩)، إنّ مؤلّفي تفسير المنار باستخدام السياق، يعتقدان أنّ عملية الخطاب تتعلق بمن أتي إلى النهر مع طالوت وقصة اختبارهم فيما يتعلق بمياه الشرب والذي شرب منه إلا القليل منهم واستمرار الآية... فقد وصفت جماعة بالمؤمنين لأنهم لم يشربوا الماء وعبروا مع طالوت، فهناك رأيان:

الرأي الأول: الإهتمام بالسياق، إنّ الضمير في قوله ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾ أسند إلى من لم يشرب الماء وكذلك من خالف القائد وجبن عن القتال.

الرأي الثاني: أسند إلى: ﴿يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ﴾ وهو ينطبق على الذين أطاعوا القائد واتّحدوا معه فلم يعصوا ويتّفق مع وصف الإيمان الذي سبقه. فعلمنا أنّ العبارة ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا

﴿مَعَهُۥ﴾ تطلق على الجميع جاوزوا النهر ولم يشربوا منه. وأنّ التصريح بمجاوزة المؤمنين منهم لا يجعل المجاوزة للحصر وإنّما هي لبيان المعيّة والمصاحبة. وقد وقعت معارضة القائد بعد مجاوزة النهر والنجاح في ذلك الإبتلاء قد وصفوا بالمؤمنين. ويعتقد عبده أنّ في هذه العبارات قد استخدم بيع الإيجاز، حيث يحذف الشيء ويأتي في السياق بما يدلّ عليه، وأن يذكر القوم بوصف غير ما دلّ عليه الكلام أو يجعله في مكان الضمير (في مكان ضمير «هم» في عبارة ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾) لإفادة أنّ هذا الوصف المذكور هو السبب في الفعل أو الوصف الذي سيق الكلام لتقريره، فأعلمنا أنّ هذا الإيمان والإعتقاد هما سبب طاعة القائد ئترك الشرب. (رشيدرضا، المنار، ج ٢، ص ٣٣٦)

٢ـ٢. دور السياق في شرح مفردات الآيات وتفسيرها

في بعض الأحيان، قد يشاهد غموض في معني الكلمة بسبب وجود معانٍ مشتركة أو معاني متعددة أو كونها جديدة، أو بسبب استخدامها بالمعنى المجازي أو الحصول على المعنى النسبي، وما إلى ذلك. فيعد الاهتمام بالسياق من الطرق الأساسية لشرح وتوضيح معنى الألفاظ. قد استخدم مؤلفا تفسير المنار السياق لفهم المعنى الحقيقي والمطلوب للفظ. فمن وجهة نظر مؤلّفي تفسير المنار إنّ أفضل طريقة لفهم الألفاظ هي دراسة معنى الكلمة في العبارة بحيث يمكن تحديد المعنى الحقيقي من خلال دراسة المواضع التي تقع فيها الكلمة والمعاني المختلفة للفظ وفقاً للآية والعبارة التي تقع فيها الكلمة. (السابق، ج١، ص٢١).

المثال الأوّل: إنّ محمد عبده في معني الهداية في الآية الكريمة: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ (الفاتحة(١) آيه، ٦) يشير إلى أنواع الهداية ومراتبها ويذكر أربع هدايات:

الأولى: هداية الوجدان الطبيعي الفطري وتكون للأطفال منذ ولادتهم.

الثانية: هداية الحواس والمشاعر وهي متمّمة للهداية الأولى في الحياة الحيوانية ويشارك الإنسان فيهما الحيوان.

الثالثة: العقل؛ إنّ الله قد منح هذا النوع من الهداية للإنسان حتى يميز بين الحقّ والباطل.

الرابعة: الدين؛ إنّ هداية الحواس والعقل وحدها لا تكفي أن يصل الإنسان إلى كماله وفينا فيه سعادته الشخصية. فيحتاج البشر إلى هداية الدين. وقد أشار القرآن إلى

أنواع الهداية. ولكن في هذه الآية وفقاً لسياقها تؤكد الهداية على معني خاصّ والمراد بها إعانتهم وتوفيقهم للسير في طريق الخير والنجاة وهي لم تكن ممنوحة لكلّ أحد كالحواس والعقل وشرع الدين. وعني الهداية في هذه الآية المعونة الغيبية من لدن الله يحفظ الإنسان بها من الضلال والخطأ.(رشيدرضا، المنار، ج١، ص٥١ـ٥٠)

المثال الثاني: في الآية الكريمة: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ (النساء(٤) آيه٨٥)، يتطرّق إلى معني لفظ «الشفاعَة» ثمّ يقول: إنّ لفظ «الشفاعَة» من الشفع وهو مقابل الوتر أي الفرد، قال الراغب: الشفع ضمّ الشيء إلى مثله، والشفاعة الإنضمام إلى آخر، ناصراً له وسائلاً عنه. (راغب اصفهاني، ١٤١٢: ص ٤٥٧) والذي يناسب السياق واتصال الآية بما قبلها من الآيات أنّ معني قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾، فالمقصود من ﴿شَفَاعَةً حَسَنَةً﴾، نصر للحق وتأييد له. به عبارت ديگر، شافع در اين عبارت به معناي محسن خواهد بود وفي عبارت ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً﴾، منظور از شافع كسي است كه مومنين را از جنگ نا اميد و بر سيئات كمك مي‌كند.(رشيدرضا، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٩)

المثال الثالث: إنّ رشيدرضا في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (الأنعام(٦)آيه١١٥)، يشير إلى الآراء المختلفة للمسفرّين ويعتقد أنّ لفظة «كَلِمَةُ» في هذه الآية وفقاً لقرينة السياق وغيرها من الآيات التي استخدمت فيها هذه المفردة كالآيات الكريمة: ﴿إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (هود(١١) آيه١١٩) و﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ (الأعراف(٧)آيه ١٣٧) فهي بمعنى النصر والوعد. إذن، معني عبارة ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ سيكون: "فيما وعدك به من نصرك و ما اوعد."(مصدر سابق، ج٨، ص١٠).

٢ - ٣. استخدام السياقات المصطلحة والشائعة في علم المعاني والبيان

في بعض الأحيان، إنّ نوع ترتيب الكلمات واستخدامها في سياقات وتركيبات خاصة

يتسبب في ظهور سياق خاص في الكلمة وينتج معنى معيناً. فإنّ هذا النوع من الترتيب وهذه الأنواع السياقات التي يتمّ ذكرها أحياناً في علم المعاني والبيان؛ منها سياق الحصر، النكرة سياق النفي، والالتفات، والإنكار، والتوبيخ، والتوكيد، والإغراء، والتعزية، وما إلى ذلك، ولكل منها معنى خاص لا يمكن استخدامه في سياق أو تركيب آخر.

إنّ مؤلّفي تفسير المنار قد استخدما من هذا السياق لفهم الدلالات القرآنية.

المثال الأوّل: في تفسير الآية الكريمة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (المائده (٥) آيه٧٢) في التعبير عن مفهوم العبارة: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ يشير إلى هذه النكتة أنّ جمع الأنصار مع كون النكرة المفردة تفيد العموم في سياق النفي(مصدر سابق، ج٦، ص٣٥٧) وهي تنبيه للنصاري.

المثال الثاني: وأيضاً في تفسير الآية: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المائده(٥)، آيه ٧٩) أقام البرهان من حال المسيح وأمّه على بطلان كونه إلهاً. في وجهة نظر مؤلفي تفسير المنار إنّ هذه الآيات حجّة أخرى قد لقّنه الله على لسان نبيّه وقد أوردها في سياق الإنكار عليهم، وتكبيتهم على عبادة ما لا فائدة في عبادته. (مصدر سابق، ج٦، ص٣٦٠).

المثال الثالث: وأيضاً في تفسير الآيات الكريمة: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ * فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة(٢)، آيات٣٥-٣٧) إنّ الله سبحانه وتعالي قد أمر آدم وزوجته حوّاء أن يسكنا الجنّة ويتمتعا بما فيها، ونهاهما عن الشجرة الممنوعة وقد أخبر وقد وسوس لهما الشيطان، فأخرجهما مما كانا فيه من النعيم إلى ضدّه، ثمّ إنّ آدم تاب إلى الله من معصيته فقبله، ثمّ جعل سعادة هذا النوع باتّباع هدي الله وشقاءه بتركه. ويري مؤلّف تفسير المنار أنّ تسلية النّبي - عمّا يلاقي من الإنكار - كأنّه يقول: فلا تأس يا محمد على القوم الكافرين ولا تبخع نفسك على آثارها وانظر ما وقع لآدم وما كان منه واعلم أنّ المعصية دائماً مجلبة للشقاء حتى يتوب عنها.(مصدر سابق، ج ١، ص ٢٠٢ ـ ٢٠١)

٢ ـ ٤. تحديد نطاق تفسير الآيات وتأويلها حسب قاعدة السياق

يعد استخدام قاعدة السياق من الأدوات الفعالة لتقييم الآراء التفسيرية. بما أن السياق الضمني هو نوع من التضمين الظاهر، يمكن اعتباره أداة فعالة في تقييم الآراء التفسيرية وبالتالي يحد من نطاق تفسيرات النصوص. من خلال استخدام السياق، يمكن نقد آراء المفسرين والروايات التفسيرية وروايات أسباب النزول وشأن نزولها والقراءات المختلفة لها. بمعنى آخر، باستخدام السياق، من الممكن تخطي بعض الأقوال غير الصحيحة والاسترشاد بالتفسير الصحيح.

المثال الأول: إنّ مؤلّف تفسير المنار في تبيين وجوه اتصال الآيات: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (آل‌عمران(٣)، آيه ١٠٤ ـ ١٠٥) يشير إلى قولين للإمام فخر الرازي:

القول الأوّل: أنّه تعالى ذكر في الآيات المتقدّمة أنّه بيّن في التوراة والإنجيل ما يدلّ على صحّة دين الإسلام وصحّة نبوّة محمّد ﷺ ولكن أهل الكتاب حسدوا محمّداً ﷺ واحتالوا في القا الشكوك والشبهات في تلك النّصوص. فأمر المؤمنين أن يؤمنوا بهذا الآيات وقد نهي أهل الكتاب من إلقاء الشبهات في النصوص المقدّسة واستخراج التأويلات الفاسدة فقال: ولاتكونوا أيّها المؤمنون عند سماع هذه البيّنات كالذين تفرّقوا واختلفوا من أهل الكتاب من بعد ما جاءهم في التوراة والإنجيل.

القول الثاني: وهو أنّه تعالى لّما أمر بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وذلك ممّا لا يتمّ إلّا إذا كان الأمر بالمعروف قادراً على تنفيذ هذا التكليف على الظلمة والمتغالبين، ولا تحصل هذه القدرة إلّا إذا حصلت الألفة والمحبّة بين أهل الحقّ والدّين، لا جرم حذّرهم تعالى من الفرقة والإختلاف لكي لا يصير ذلك سبباً لعجزهم عن القيام بهذا التّكليف. (فخر رازي، ١٤٢٠: ج٨، ص٣١٦).

على الرغم من قبول المؤلف لكلا القولين، إلا أنه يعتبر القول الثاني صحيحاً ويعتقد أنه وفقاً للسياق والتدقيق باتّصال العبارة في الآية، فمن الواضح أنّ الإختلاف المنهي عنه هو ما

كان ناشئاً عن التفرّق لا كلّ اختلاف لأنّه إذا كان الخلاف مع حسن النيّة لا يدوم معه بل يكون في وسائل تأييد المقصد، حيث يرجع إلى القول الذي يتّفق عليه الأكثرون. (رشيدرضا، ١٤٢٨: ج٤، ص٣٥)

المثال الثاني: محمد عبده في تفسير الآية: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتاً﴾ (النساء (٤)، آيه ٨٥) ينتقد السيوطي وأولئك المفسرين الذين قاموا بتفسير كلمة «الشفاعة» في الآية على أساس حياة الناس، لا سيما في مجالات الحياة المختلفة، ويعتقد أنّ هذا التخصيص يخرج الآية من سياقها وفي البداية الأفضل أن نرى معناها بشكل عام، وفي المرحلة التالية، وفقاً للآيات السابق، فإنّ «الشفاعة» تختصّ بالقتال. لأن الآية تخاطب الذين تخلّفوا عن القتال وجاءوا إلى النبي أن يشفع لهم. (رشيدرضا، السابق، ج ٥، ص ٢٢١).

المثال الثالث: إن المؤلّف في تفسير الآية: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ (يونس(١٠)، آيه٣١) وتفسير العبارة: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ بعد ذكر الأقوال والروايات المختلفة، يعتقد أن ما يصلح لسياق هذا البيان (رشيدرضا، همان، ج ١١، ص ٣٥٧) والآية: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل‌عمران(٣)، آيه٢٧) هو أنّ المقصود من: ﴿تُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ﴾؛ كخروج المؤمن من سلالة الكافر، والعالم من الجاهل، البَرّ من الفاجر و﴿يُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾؛ فإنّ التعابير كخروج الكافر من المؤمن والجاهل من العالم التي يتم التعبير عنها هي أمثال صحيحة لنقل المعاني. (رشيدرضا، يٰسين، ج ٣، ص١٩٢)

المثال الرابع: إنّ محمد عبده في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحاً وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة (٢)، آيه ٢٢٨) بعد أن بيّن معني «التربص» (ألّا تتزوّج المطلّقة حتى يمرّ عليها ثلاثة قُروء) فهو في

التعبير عن الحكمة الحقيقية لهذا المصطلح يستخدم السياق ويقول: «ثم بين تعالى حكمه هذا التربص بالزواج في سياق حكم آخر» فقال ﴿وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ...﴾ هو الدليل على هذا الحكم؛ كما كان يفعلن أحياناً في الجاهلية إذ كانت المرأة تتزوّج بعد فراق رجل بآخر ويظهر لها أنّها حُبلي من الأوّل فتُلحقَ الولدَ بالثاني، فهذا محرّم في الإسلام فأمر الله بأن تعتدّ المرأة بعد فراق زوجها ثلاثة قروء ليظهر أنّها بريئة من الحمل، ونهي أن تكتم الحمل إذا علمت به. (رشيدرضا، ١٤٢٨: ج ٢، ص ٢٥٩) قروء جمع قُرء - بضم القاف وفتحها - يطلق في اللغة على حيض المرأة وعلي طهرها منه، والأصل فيه الإنتقال من الطّهر إلى الحيض. (راغب اصفهاني، ١٤١٢: ص٦٦٨) إنّ مؤلّفي تفسير المنار يؤكدان أن القرآن الكريم قد نهي عن التقليد ولهذا السبب قد يستخدمان الآيات التي تؤكد هذا الرأي بطريقة ما.

المثال الخامس: على سبيل المثال في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة (٢)، آيه١١١) يقول في التعبير عن معنى الآية الأخيرة: إنّ في الآية إرشاد إلى بطلان التقليد فلا ينبغي للعاقل أن يحكم على شيء إلّا بعد البحث والتحرّي ومعرفة مكان الخطأ والتزييل بينه وبين ما عساه يكون معه صواباً. ألم تر أنّ سياق الآيات ناطق بإنكار كلّ من الفريقين على الآخر من غير بيّنة ولا برهان.(رشيدرضا، السابق، ج ١، ص ٣٠٦)

المثال السادس: يعتقد عبده في تفسير الآية الكريمة: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ (البقرة (٢)، آيه ٢٥٥)، إنّ السياق يدلّ على أنّ «الكرسي» هو العلم الإلهي، وبذلك قال بعض المفسرين وأهل اللغة ويقال «كرَّسَ الرّجل» أي كثر علمه وازدحم على قلبه. (رشيدرضا، همان، ج ١، ص ٢٤).

المثال السابع: إنّ رشيدرضا يقول في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُمْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة (٩)، آيه١٠١) إنّ العبرة في هذا السياق هو: إنّ هؤلاء المنافقين فريقان: فريق عرفوا بأقوال

قالوها وأعمال عملوها، وفريق مردوا على النّفاق وحذقوه حتى لا يكاد يشعر أحد بشيء يستنكره منه فيظهر عليه، وكلّ من الفريقين يوجد في كلّ عصر لاسيما منافقي السياسة هم الذين اتّخذوا الأجانب المعتدون على بلاد الإسلام دعاةً وولائج وأعواناً على استعباد أمّتهم واستعمار أوطانهم. (رشيدرضا، ١٤٢٨: ج ١١، ص ١٥ - ١٤)

وأما في ما يختصّ بشرح الأحكام، فقد رأى مؤلف المنار أنه إذا ورد حكم في القرآن، فلا حاجة إلى مصدر آخر في تفسيره. بعبارة أخرى، يولي محمد عبده ورشيد رضا مزيداً من الاهتمام للنص والمعني الذي يمكن فهمه من مفردات الآيات القرآنية أكثر من الروايات (تلك الروايات التي تتعارض مع محتوى النص). ويعتبرانِ شأن نزول الآيات التي تختصّ بالأحكام فاعلاً لفهم شروطها وحكمتها فحسب، وإذا كان شأن النزول يدلّ على حكم يخالف ظاهر الآية، فلا يلتفتان إليه. على سبيل المثال في تبيين الأحكام التي تختصّ بالتيمّم يعتقد محمد عبده ورشيد رضا لا داعي للتكلّف في فهم روايات هذا الحكم. لأن لفظ الآية واضح جداً، وحكم المريض والمسافر كحكم من لم يجد ماءاً للوضوء. وفي هذه الحالات لا يكون فقد الماء مشكلة، ويمكن فهم هذا الأمر من ظاهر الآية، فالقرآن أفصح الكلام وأبلغه وأظهره، ويسهل فهم الحكم منه، وينكر المفسرون هذا الحكم لأنه لا يتماشى مع مدارسهم الفقهية، ومع هذا التحيز يتجاهلون وضوح القرآن وبلاغته. لذلك قد طالعت في تفسير هذه الآية خمسة وعشرين تفسيراً، حيث لا يمكن رؤية أي شيء فيها سوى الواجب. (رشيدرضا، المنار، ج٥، ص٨٧).

المثال الثامن: يمكن رؤية مثال آخر لتطبيق هذا المعتقد في تفسير المنار في تفسير هذه الآية: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الأنعام(٦)، آيه١٤٥) ويرى رشيد رضا أن ما حرم الله تعالى في هذه الآية فهو حرام وما سوي ذلك فهو حلال. (رشيدرضا، المنار، ج ٨، ص ١١٧) ولذلك، فهو يرفض أو يبرر العديد من الروايات التي تنص على حرمة لحوم بعض الحيوانات التي لم يرد ذكرها في هذه الآية بسبب تعارضها مع الآية. (رشيدرضا، السابق، ج ٨، ص١٣٦ - ١١٩).

في بعض الحالات، يستخدم مؤلف تفسير المنار السياق والنظم بين الآيات لدراسة اختلاف القراءات بين القراء؛ على سبيل المثال في تفسير الآية: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى

لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة (٢)، آيه ٢) يشير إلى أنّ بعض القرآء توقفوا عند كلمة «ريب» ويعتبرون ﴿فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ مستقلّة بالبيان. ويعتبر هذا الأمر خلافاً لنظم القرآن ويري أن مذهب الجمهور في القراءة قائمة على عدم التوقف على كلمة «الريب». (رشيدرضا، السابق، ج١، ص٩٤).

وأيضاً في حلّ الخلاف في قراءة الآية: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (الفاتحة(١)، آيه ٤) وقراءة «مَلِك» يستخدم السياق في اختيار قراءة مَلِك أو مالك، ويري أنّ قراءة مَلِك أبلغ؛ لأنّ السياق يدلّنا على أنّ المراد بالآية تذكير المكلّفين بما ينتظرهم من الجزاء على أعمالهم رجاء أن تستقيم أحوالهم. وإنّ مجموع القراءتين يدلّ على المعنيين فكلاهما ثابت، ولكن القراءة في الصلاة بمَلِك. (رشيدرضا، المنار، ج١، ص٤٤).

٢ - ٥. كشف التقارير التاريخية وبيانات خارج النص باستخدام قاعدة السياق

إنّ مؤلّفي تفسير المنار قد اتّخذا منهجاً نقدياً وتشكيكياً في استخدام الروايات التاريخية والتفسيرية. وبالطبع فإن هذا التشاؤم والتشكيك في الأحاديث لا يعني التخلي التامّ عن الروايات التفسيرية، ولكن عند دراسة تفسير المنار غالباً ما نرى مؤلفي هذا التفسير قد يستخدمان أسباب نزول الآيات وشأن نزولها وغيرها من الروايات التفسيرية. (رشيدرضا، ١٤٢٨: ج ٤، ص ٨٥)

من خلال دراسة تفسير المنار يمكن أن نستخلص هذه الحقيقة أن مؤلّف هذا التفسير عند مواجهة الروايات التي تتعارض مع ظاهر الآيات قد اكتفا بظاهر الآيات وقد ذكر مرات عديدة أنه في حالة تعارض الروايات المختلفة مع ظاهر الآيات، يمكن فهم معنى الآية بسهولة من خلال التخلي عن الروايات. فإنّ عبارة «هوالذي تدل عليه الفاظ الآية إذا تركت الروايات المختلفة ونظر إلى المتبادر من العبارة» (رشيدرضا، همان، ج ٧، ص ٣٠) يمكن مشاهدتها مرات عديدة في تفسير المنار.

إنّ مؤلف تفسير المنار عند مواجهة الروايات التي لها طابع تاريخي منها الروايات التي تشرح لنا أن السور والآيات مكيّة أو مدنيّة، وأيضاً عند مواجهة روايات شأن النزول قد ألزم نفسه بتطبيق الرواية مع سياق المقال وعدم الإضرار بالربط بين الآيات. فيعتقد أن هؤلاء المفسرين الذين ينظرون من القرآن في جمله وآياته مفككة منفصلاً بعضها عن بعض؛

التماساً لسبب النزول في كلّ آية أو جملة أو كلمة ولا ينظرون إليه في سياق الجمل وكمال نظمه. (رشيدرضا، پيشين، ج٢، ص٢٤):

المثال الأوّل: على سبيل المثال قد أكد المفسّرون أنّ جميع آيات سورة الأعراف مكيّة إلّا الآيتين: ﴿وَسْئَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ...﴾ (الأعراف(٧)، آيه ١٦٣) و ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ...﴾ (الأعراف(٧)، آيه ١٧٢) فيستدلّ رشيد رضا أنّ هاتين الآيتين مرتبطة بالآيات السابقة ولا ينبغي اعتبارها منفصلة عن سائر الآيات واعتبارها مدنية. لذلك، يستدلّ أن جميع آيات السورة مكية. (رشيدرضا، ١٤٢٨: ج٨، ص٢٩٤).

كما يعتقد رشيد رضا أن سورة يونس مكية خلافاً لما ورد في بعض الروايات التي تدل على أن السورة مدنية، ويؤيد هذا الرأي بأن موضوع السورة يدور حول إثبات أصول التوحيد، وهدم الشرك، وإثبات الرسالة، والبعث والجزاء، ودفع الشبهات عنها وما يتعلق بذلك من مقاصد الدين التي هي موضوع السور المكية. (رشيدرضا، پيشين، ج ١١، ص١٠٦).

المثال الثاني: إنّ الشيخ محمد عبده قد انتقد بعض الروايات في مجال أسباب نزول هذه الآيات ويقول مثل هذا السبب يجعل القرآن مبدّداً متفرّقاً لا ترتبط أجزاؤه ولا تتصل أنحاؤه وإنّ الآية: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (البقرة (٢)، آيه ١٤٢) خلافاً للروايات التي تقدّم أسباب نزول مختلفة لعباراتها، فإنّ الآية متكاملة وفي سياق واحد. وهذه الروايات لا تؤدي إلا إلى الإتصال المحكم بين الآيات. (رشيدرضا، السابق، ج٢، ص٩).

المثال الثالث: في موضع آخر وفي تفسير الآية: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (آل عمران(٣)، آيه١٦١) نزلت هذه الآية في شأن النبي ﷺ من سياق الحكم والأحكام المتعلّقة بغزوة أحد، ولكن أخرج أبو داود والترمذي وابن حرير عن ابن عبّاس أنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ...﴾ قد نزل في قطيفة حمراء فقدت يوم بدر، وهذه الرواية ضعيفة. فإنّ هذه الآية والآيات السابقة ومابعدها وفقاً للسياق فهي متعلّقة بغزوة أحد. (رشيدرضا، السابق، ج ٤، ص ١٥٢)

المثال الرابع: و في تفسير الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ (النساء (٤)، آيه٨٨) قد يشير مؤلّف تفسير المنار إلى هذا أنّ هناك تضارب بين الروايات حول سبب نزول هذه الآية. وبعد ذكر الروايات قد أجمعوا أنه يمكن الجمع بين هذه الروايات. وبهذا المبرّر أن هناك أحداثًا عديدة وقعت وقد نزلت هذه الآية بعد هذه الأحداث (تعدد أسباب النزول ووحدة الوحي)، ومن ناحية أخرى، فإنّ هذا التبرير أيضاً يقضي على وجود الفجوة الزمنية بين الروايات. فإنّ الشيخ محمد عبده يؤمن بصحّة هذه الحقيقة أن الروايات التي تكون مبنية على التأويل وليس التاريخ بإمكانها أن تستدلّ على حدث يتطابق مع الآية. كما يشير أيضاً أن روايات سبب النزول في معظمها هي ناتجة عن فهم الراوي لتلك الآية والحدث. في هذه الحالة، يمكن أن يحدث خطأ فيها. وفي النهاية، من خلال دراسة الروايات يستدلّ عبده أنّ ابتداء هذه الآيات بالفاء لوصلها بما سبقها، وقد أخطأ من يعتقد أنّها تكون الفاء الإستئنافية، إذ السياق لا يزال جارياً في مجراه من أعمال القتال وذكر شئون المنافقين وهم بعض المشركين من كان ينافق بإظهار الإسلام والولاء للمؤمنين والنصر لهم ولكن لم يرغبوا أن يكونوا مع المسلمين. فلما ظهر أمرهم في ترك طاعة النبي ﷺ في المشاركة في الحرب، فكان أصحاب النبي ﷺ فيهم فرقتين. فغضبت طائفة منهم واعتقدوا أنه يجب معاملتهم كغيرهم من المشركين واعتقدت طائفة أخرى أنه يجب معاملتهم كالمهاجرين الذين لم يكونوا منافقين. لذلك رفض الله هذه العقيدة في الآية التي نزلت. (رشيدرضا، المنار، ج٥، ص٢٢٩ - ٢٢٨).

المثال الخامس: أيضاً في تفسير الآية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ (البقرة (٢)، آيه ١٥٣) إنّ الأمر بالإستعانة هو للإستعانة على أمر الآخرة والإستعداد لها، وأنّ المراد بالصبر فيه الصبر عن المعاصي والإلتزام بكلّ ما يرتبط بالتوحيد وبشأن نزول الآية؛ بما أنّه يسبب خروج الآية من السياق. (رشيدرضا، ١٤٢٨: ج ٢، ص ٢٤) وبعض الأحيان يرفض الروايات اعتماداً على ألفاظ الآية: المثال السادس. كما يشير رشيدرضا حول الآية الكريمة: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس(١٠)، آيه٥٨) إلى ما رُويَ عن مجاهد من أنّ «المراد بالفضل والرحمة واحد وهو القرآن» ثمّ يقول: إنّ

دخول الباء على كلّ من الفضل والرحمة هنا يدلّ على استقلال كلّ منهما وإنّ ما رواه مجاهد غير صحيح. (رشيدرضا، السابق، ج١١، ص٢٩٢).

نتيجة البحث:ـ

إنّ مؤلّف تفسير المنار قد استخدم قاعدة السياق لفهم معاني القرآن الكريم وتفسيره. وفقاً لهذه العقيدة إن ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره كان توقيفياً في زمن النبي ﷺ ويعتقد مؤلّف تفسير المنار أن هناك نظاماً وتناسقاً بين آيات القرآن الكريم. وقد استخدم هذا التفسير قاعدة السياق لتحديد الآيات المكية والمدنية، وتفسير بعض الآيات مع بعضها الآخر، وتحديد معاني الكلمات، ورفض بعض الروايات - التي تعارض معنى الآيات - وبعض الأقوال الباطلة على وجه الخصوص الإسرائيليات وتشريع الأحكتم. إلا أنه من الجدير بالذكر أن الاهتمام الزائد من الحدّ بالسياق في بعض الآيات قد أدّى إلى تشديد الإفراط والإهمال في بعض الآراء التفسيرية لمؤلف تفسير المنار.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير مانبتدىء به القرآن الكريم.

١. أمير المؤمنين، الإمام علي بن أبي طالب، نهج‌البلاغه.
٢. آذرتاش آذرنوش، فرهنگ معاصر عربي ـ فارسي، چاپ دهم، تهران: نشر ني، ١٣٨٨.
٣. الذهبي، محمدحسين، التفسير والمفسرون، ج ٢، بيروت: داراحياء التراث العربي، بي‌تا، در نرم‌افزار مشكات‌الانوار.
٤. راغب اصفهاني، حسين بن محمد، مفردات الفاظ قرآن، چاپ اول، بيروت: دارالقلم، ١٤١٢، در نرم‌افزار مشكات‌الانوار.
٥. رشيدرضا، محمد، تفسيرالقرآن كريم، چاپ اول، ج ١٢ ـ ١، بيروت: دارالفكر، ١٤٢٨ه.ق.
٦. رازي، ابوعبدالله محمدبن عمر فخرالدين، مفاتيح‌الغيب، ج ٨ و ١٤، چاپ سوم، بيروت: داراحياء التراث العربي، ١٤٢٠ق. در نرم‌افزار جامع‌التفاسير نور.
٧. معرفت، محمدهادي، التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب، ج ٢، چاپ سوم، مشهد: الجامعه الرضويه للعلوم الاسلاميه، ١٣٨٦ش.